

الشعراوي في الميزان

جمع/مالك بن حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛

أما بعد:

أشرف العلوم على الإطلاق ما تعلّق بتفسير كتاب الله تعالى، ولما كان للتفسير ضوابطه التي لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يتعداه، اهتم العلماء -رحمهم الله- ببيان زيف الزائغين، وانحراف المنحرفين، وضلال الضالين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

"قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف؛ فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع؛ فإنما هو للمسلمين؛ هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد"^(١).

ونحن في زمان كثرفيه المتكلمون على الله بغير علم؛ وانهر الناس -إلا من رحم ربك- بأي أحد يتكلم في تفسير كتاب الله؛ لا سيما إن كان صاحب لسان، ويزوق كلامه بشيء من البلاغيات؛ ومن هؤلاء الذين له اسم لامع^(٢) في هذا المجال (محمد متولي الشعراوي)، والغالبية العظمى لا يعرفون عن المؤلف شيئاً؛ سواءً عن معتقده، أو سلوكه، أو تصريحاته، فأحببت أن أكتب هذه الوريقات مبيناً بعض المزالق الخطرة التي وقع فيها هذا الرجل^(٣)؛

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/٢٣١).

(٢) الشهرة والانتشار لعالم من العلماء ليست دليلاً أكيداً على أن الله يجري الحق -دائماً- على لسان ذلك العالم، وليس تجمع جمهرة كبيرة من الناس حوله دليلاً على أنه يحمل وجهة نظر صائبة دائماً، فالحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق.

(٣) وهذا البحث مأخوذ من بعض ما جاء في كتاب ((إقامة الحجة والبرهان على من زعم أن الله في كل مكان وفسر برأيه القرآن - رد على محمد متولي الشعراوي)) تأليف عبدالكريم بن صالح الحميد، وكذلك من ((مجلة التوحيد)) المصرية التي

وذلك ضمن الخطة التالية:

الفصل الأول: بعض تفسير (شطحات) الشعراوي

الفصل الثاني: بعض آرائه في العقيدة

المبحث الأول: زعمه أن الله في كل مكان

المبحث الثاني: زعمه أن قرب الله قرب من القلب

المبحث الثالث: الشعراوي والقبور

المبحث الرابع: التوسل بالصالحين

المبحث الخامس: لا يقدر على الخلق إلا الله

المبحث السادس: كلامه في السحر

الفصل الثالث: بعض آرائه في مسائل متفرقة

المبحث الأول: تفسيره القرآن برأيه

المبحث الثاني: احتقار السلف

المبحث الثالث: الشعراوي والحديث

المبحث الرابع: جهالات متنوعة

المبحث الخامس: متفرقات

وفي الختام أسأل أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم وبارك وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تصدر عن "جماعة أنصار السنة المحمدية": حيث نشرت في بعض الأعداد لها ردّاً على الشعراوي. وهذا مع ترتيب وتنسيق وتبويب وزيادة على هذين المصدرين، أسأل الله أن تكون هذه نواة بحث متوسع عن الشعراوي وتفسيره للقرآن.

الفصل الأول: بعض تفسير (شطحات) الشعراوي^(٤)

"في تفسير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي لقوله تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} الذي قدّم له في تسجيل تلفازي قبيل يوم ١٥ رمضان الماضي.. حمّل فضيلته كلمة {أحداً} من قوله تعالى: {ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}، حمّلها ما لا تحتمله حيث أضاف الجنة إلى الشركاء في عبادة الله سبحانه، فقال: "وحتى لو جعل العابد قصده من عبادته دخول جنة الله سبحانه كان بذلك من الذين أشركوا بعبادة ربه غير معه"، وهذا كلام لم نسمعه، ولم نره إلا في كتب الغلاة والمتطرفين من الصوفية، وأصحاب المواجيد الفلسفية الوثنية، وفضيلته قد دلنا أيضاً على مصدر كلامه هذا فأتى بكلام رابعة العدوية استشهاده على تفسيره هذا حيث تقول: "ما عبدته خوفاً من ناره، ولا حباً في جنته، وإنما من أجل مشاهدة وجهه الكريم".

وأقول إن كلّ تفاسير أهل السُّنة لم يذهبوا أبداً هذا المذهب، وإنما غاية ما تزيّد به بعضهم، أن جعلوا مراعاة الناس في العبادة هي الإشراف بالله في العبادة!! مع أن الآية في السياق الذي جاءت فيه وهو أنها جاءت في نهاية السورة (سورة الكهف) خاتمة للحديث عن الكافرين الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ثم عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين كانت لهم جنات الفردوس نزلاً.. وأنه بناء على ذلك أن من أراد من الكافرين دخول الفردوس، فليؤمن بالله وحده -وهذا ترغيب للكافرين ودعاء لهم من الله سبحانه، أن يتحولوا من الكفر إلى الإيمان- وأن يصل في إيمانه إلى الثقة في الله وإمكان البعث، والدعوة إلى الله بعد الممات أي: رجاء لقاء الله وتلقى الجزاء الحسن منه، وأن من وصل إلى هذا الإيقان، فليعمل عملاً صالحاً خالصاً لله متوجهاً به إليه، قاطعاً حبال الشرك وعبادة الأوثان التي كانت تصله بهم من قبل، وهذا يتضح لنا أكثر حينما نقرأ الآية من أولها يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} فجاءت هذه الآية الكريمة بمثابة تلخيص الطريق إلى دخول الجنة، بعد عرض حال الأخسرين أعمالاً، الذين كفروا بآيات ربه ولقائه، وعرض حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات، هذا المعنى هو الذي يعطيه أسلوب القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، وفي تفسير تلك الآية يقول الإمام الشوكاني: "{..فمن كان يرجو لقاء ربه}: الرجاء: توقع وصول الخير في المستقبل، والمعنى: من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين {فليعمل عملاً صالحاً} وهو ما دلّ الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله، {ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} من خلقه سواء كان صالحاً أو

(٤) ((مجلة التوحيد)) (ص ٢٣-٢٧) ذو الحجة عدد ١٢ - ١٤١٠ هـ؛ تحت عنوان: "القرآن وشطحات الصوفية!!- بقلم/ الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال".

طالِحاً، حيواناً أو جماداً، قال الماوردي: قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية: إن المعنى لا يراني بعمله أحداً، وأقول إن دخول الشرك الجليّ الذي كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدم على دخول الشرك الخفي الذي هو الرياء، ولا مانع من دخول هذا الخفيّ تحتها، إنما المانع من كونه هو المراد (فقط) بهذه الآية^(٥).

فهذا أقصى ما وصل إليه تفسير بعض المجتهدين أن يكون الشرك الخفي؛ وهو الرياء، هو المراد بهذه الآية، ولم يقل أحد ممن يعتد بقولهم أن الجنة وعبادة الله من أجلها هي من الإشراف بالله الذي منعه في هذه الآية، وجعلها من عبادة الأوثان التي هي الشرك الجلي الواضح الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأنبياء قبله ناهين عنه، ومبطلين له وداعين الناس إلى عبادة الله وحده، والتحول عن هذا الشرك، فهذا قول كبير وتجرؤ على الله وعلى دينه إلى الكتاب والسنة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؛ كتاب الله وسنة رسوله)).

ولننظر إلى هؤلاء الصوفية، وكلامهم في هذا المجال لنرى أهو إيمان أم كفر؟! نجد ابن سينا يؤسس لكلام رابعة المتقدم أو الكلام الذي زور باسم الشخصية الأسطورية (رابعة العدوية) التي هي في أغلب الآراء شخصية منتحلة لم توجد قط، ونسأل الله أن لا توجد مستقبلاً!

يقول ابن سينا: "فالزهد عند غير العارف معاملة ما، كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة، وعند العارف تنزه عما يشغل سرّه عن الحق، وتكبر على كل شيء غير الحق، والعبادة عند غير العارف معاملة ما كأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي الأجر والثواب، وعند العارف رياضة ما، لهما، وقوى نفسه المتهمة والمتخيلة ليجريها بالتعويد عن جناب الغرور، إلى جناب الحق، فتصير مسالمة للسّر إلى الشروق الساطع ويصير ذلك ملكة مستقرة كلما شاء السّر، اطلع إلى نور الحق"^(٦).

فالقصد من العبادة عند هؤلاء ليس التقرب إلى الله، وطلب مرضاته وإنما تطهير لنفوسهم، وتخفيف لها من أوزارها، حتى تستطيع أن تعرج إلى الله سبحانه فتشاهده، وتراه جهرة، أو ينكشف لها نوره ويشرق عليها، وهي على الأرض، فتراه جهرة أيضاً، فحينئذ تؤمن بوجوده وتؤمن به، وذلك على طريق الإشرافيين من الوثنيين المجوس، فهذه الطريقة التعبدية؛ هي طريقة أهل الوثن من اليونان، والغنوصيين^(٧) أهل المعرفة من المجوس قديماً؛ لأنهم ما كانوا يرون أمامهم رسلاً يرشدونهم إلى الله وإلى دينه، فكانوا في اليونان قيل ميلاد عيسى عليه

(٥) ((فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)) (٤٣٨/٣).

(٦) ((الإشارات والتنبيهات-قسبي ٣،٤-النمط التاسع)) (ص ٨٠٠).

(٧) الغنوصية: مأخوذة من اللفظ اليوناني (غنوسيس)؛ يعني: (معرفة)، وقد نشأت في القرن الأول الميلادي، بتأثير اختلاط الثقافة اليونانية بثقافة الشرق، وهي فرقة دينية فلسفية، متعددة الصور، مبدؤها: أن المعرفة الحقّة؛ هي الكشف عن طريق الحدس الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف، وليس عن طريق العلم والاستدلال، فهي نوع من النصوص يزعم أنه المثل الأعلى للمعرفة. انظر: ((الولاية والطريق إليها)) إبراهيم هلال (ص ٧٧).

السلام، وكانوا في الفرس المجوس، قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان الفريقان يسلكونها للوصول إلى معرفة الله والتأكد من وجوده، ولكنهم ما كانوا يصلون إلا وهما وخيالاً، أو بعد اضطراب في العقل من هذه الممارسات التي كانت تقوم على التقشف الشديد، والحرمان والزهد في متع الحياة وطيباتها، بل والضروري من المأكَل والمشرب، وقد تستولي عليهم الشياطين، فتخيّل لهم أنهم رأوا الله أو شاهدوه، فيأتون ويتكلمون عنه بما هو الكفر، ويصفون الله بما لا يليق به، وكثيراً ما يُعِدِّدونه؛ فيجعلون مع الله آلهة أخرى، فجاء الإسلاميون بعدهم من الفلاسفة والصوفية، وقرأوا هذه الخرافات بعد عصر الترجمة في الدولة العباسية -وكان الفريقان المذكوران، لم يتأسسا التأسيس الكامل في الكتاب والسُّنة- فظنوا في هذه الفلسفة طريقاً للهداية وتبياً لهم أنها فسرت لهم كثيراً من أمور العقيدة التي لم يكونوا قد تشربوها لعجمتهم في اللغة العربية، وفي تعلُّم الكتاب والسُّنة، ولم يعرفوا أنها ضد ما جاء به الدين، وقد يكونون مدسوسين علينا من الفرس لخلخلة عقيدة المسلمين وتحريفها، حتى يسقط المسلمون أمام الفرس ويستعيد الفرس مجد آبائهم.

ومارس الفلاسفة المسلمون، وصوفيتهم هذه الطقوس؛ من أمثال ابن سينا، وابن الفارض، وابن عربي؛ قاصدين بها الوصول إلى اليقين بعد الشرك، ولكنهم ما وصلوا كما تقدم، ويمكن أن نجد هذا الأسلوب الذي تقدّم للفلاسفة والصوفية عند أفلوطين المصري؛ ذلك الفيلسوف الذي عاش في الإسكندرية، وفي مكتبة الإسكندرية، في القرن الثالث الميلادي، والذي رحل إلى فارس، فأخذ من هناك المعرفة الغنوصية الفارسية والهندية، ثم استقر في إيطاليا ومات هناك وكان نصرانياً، فارتدّ عن النصرانية، وصار ملحداً لا يؤمن بالله، ولا يؤمن بدين ثم جاء يطلب الإيمان عن طريق الفلسفة، وهذا هو الطريق عنده.

إنه يعتبر أن أرقى لذة في الدنيا هي مشاهدة الواحد والاتصال به، وأننا حينما نكف عن الإحاطة به يحلُّ بنا الدمار الكلي، وننعدم من الوجود، وحينما ننظر صوبه فتلك غايتنا وراحتنا في هذه الحياة العاجلة نستطيع أن نراه، وأن نرى أنفسنا بقدر ما يمكن الحصول على مثل تلك الرؤية، نرى أنفسنا ساطعين نوراً، مليئين نوراً معقولاً.. نصير إليها متقدماً حباً، تلك حياة الآلهة والبشر الإلهيين السعداء، أعني التحرر من أشياء هذه الدنيا، والضيق بها، والهرب وحدنا إليه وحده، ويدعي بصد ذلك أنه صعد إلى الله أربع مرات، وأنه كان صاحب اختيار في ذلك بعد أن تخفف في الدنيا وأثقالها.^(٨)

فمن هذا الاتجاه فشا في الأوساط الفلسفية والصوفية -لدى الإسلاميين ما يسمونه (حالة مشاهدة الذات العلية)- وجعلوا ذلك هو الغاية في العبادة، وسلوك الطريق الصوفي؛ وأن هذا هو منتهى اللذة... وأدى هذا إلى تسام مفتعل، وترفع عما وعد الله به المتقين من نعيم، وعما

(٨)((تاريخ الفلسفة اليونانية-الفقرة الخاصة بأفلوطين)) يوسف كرم.

أُوعِدَ به العاصين من عذاب، وادعاء بأنهم صاروا في طريق التجريد من الماديات وطريق السمو، وفي مستوى الملائكة، فأصبحوا لا يتأثرون بوعده ولا وعيده، وإنما يتأثرون بالغاية التي إليها يسعون؛ وهي مشاهدة (وجهه الكريم). فمن هذا ما نسب إلى من تُسمَّى رابعة العدوية، أنها كانت تناجي الله سبحانه وتقول: "إلهي إن كنت عبدتك من خوف النار فأحرقني في النار، أو طمعاً في الجنة فحرمها عليّ، وإن كنت لا أعبدك إلا من أجلك فلا تحرمني مشاهدة وجهك".^(٩)

هذه هي حقيقة هؤلاء؛ وهي كما نرى اتجاه مادي، وانغماس في الإلحاد والشك؛ جعل أصحابه لا يؤمنون إلا بما يرونه ويحسونه، وطبقوا هذا على إيمانهم بالله سبحانه، وهو قديم قدم الكفر كما أخبر الله سبحانه عن جمع ممن دعاهم موسى عليه السلام فقالوا له: {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة} [البقرة/٥٥]، وهو اتجاه شاع عند كثير من صوفية اليونانيين وفلاسفتهم، فلا يجمع بنا أن نفس الوحي المنزل من عند الله بخرافة هؤلاء الشاكن الملاحدين. كما أنه لكي يستقيم لعالم الدين علمه؛ لا بُدَّ له من أن يدرس التصوف جيداً، ويعرف ماهيته، ومن أين جاء، بعد أن يكون قد تشبّع بروح الكتاب والسُّنة، وفقه نصوصهما جيداً، والله الموفق".

(٩) ((التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة)) د/إبراهيم هلال (ص ٦٨).

الفصل الثاني: بعض آرائه في العقيدة

المبحث الأول: زعمه أن الله في كل مكان

قال الشعراوي في كتاب ((من فيض الرحمن في معجزة القرآن)) (ص ٢٩٤) -في أثناء كلامه على الإسراء والمعراج-: "أما حديث الله سبحانه وتعالى فقد تم في مكان المعجزة، أو مكان الآيات التي أراد الله أن يكشف عنها لرسله، فكشف الله لموسى آياته الكبرى في الأرض؛ وكلمه وهو على الأرض، وكشف الله لمحمد عليه السلام آياته الكبرى في الملكوت الأعلى؛ وكلمه عند سدرة المنتهى، والله موجود في كلا المكانين، وفي كل مكان وزمان، ومن هنا فإن الحديث لم يكن مرتبطاً بتحديد مكان الله سبحانه وتعالى، فهو موجود في الأرض وموجود في السماء؛ لكنه كان مرتبطاً بكشف الله سبحانه وتعالى لآياته الكبرى، فعندما كشف الله آياته الكبرى لموسى في الأرض كان الحديث وموسى على الأرض، ومحمد عليه السلام رأى آيات ربه الكبرى في الملكوت الأعلى، فكان الحديث حيث المعجزة، وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، وليس كما يقول بعض المشككين بأن الله قد رفع إليه محمداً عليه السلام ليكلمه في الملكوت الأعلى، وأن هذا تحديد لمكان يوجد فيه الله سبحانه وتعالى، فالله بالآيتين؛ كلام موسى على الأرض، وكلام محمد في الملكوت الأعلى إنما أعطانا الرهان والدليل على أنه موجود في كل مكان، وأنه يستطيع أن يخاطب من يشاء وكيف يشاء سواءً تم ذلك على الأرض أو في الملكوت الأعلى أو في أي مكان في ملك الله، فالآية هنا دليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يحده مكان ولا زمان" اهـ.

قلت: هذا كلامه على قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى... الآية} [الإسراء/١]، وزعمه أن الله في كل مكان من أبطل الباطل، وهو خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، وما عرف الله ولا عظمه ولا قدره حق قدره من اعتقد هذه العقيدة الفاسدة؛ حيث أخبرنا ربنا سبحانه أنه فوق المخلوقات كلها مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، قال الله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} في سبعة مواضع من كتابه.

فالجهمية والمعتزلة هم الذين يقولون: إن الله في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. قال أبو الحسن الأشعري: "وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن قول الله عز وجل: {الرحمن على العرش استوى} أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة".^(١٠)

(١٠) ((الإبانة عن أصول الديانة)) (ص ١٢٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقوم يقولون بحلوله في كل شيء؛ وهم الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان".^(١١)

ثم نجد الشعرأوي يقول: "فأالله بالآيتين؛ كلام موسى على الأرض، وكلام محمد في الملكوت الأعلى إنما أعطانا البرهان والدليل على أنه موجود في كل مكان"، وهذا ضلال؛ فمذهب أهل السُّنة والجماعة أن الربَّ عزوجل مستو على عرشه بائن من خلقه ليس فيه شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء منه، والعرش فوق السموات السبع، والرب سبحانه كلم موسى عليه السلام في الأرض وهو سبحانه فوق العرش، كما أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا -كما ورد في الأحاديث الصحيحة- وهو فوق العرش.

قال الأوزاعي: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق سمواته، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته".^(١٢)

(تكليم موسى من جنس نزوله)

قال شيخ الإسلام -في كلامه على نزول الرب -: "وهو من جنس تكليمه لموسى، منزّه أن يكون نزوله كنزول المخلوقين، وحركتهم وانتقالهم وزوالهم مطلقاً لا نزول الآدميين ولا غيرهم، فالمخلوق إذا نزل من علٍ إلى سفلى زال وصفه بالعلو وتبدل إلى وصفه بالسفول وصار غيره أعلى منه، والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط، بل هو العلي الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده، ويدنو منهم، وينزل إلى حيث شاء، ويأتي كما شاء، وهو في ذلك العلي الأعلى".^(١٣)

كذلك يقال: كلم موسى عليه السلام وهو فوق العرش، وهو قادر على ذلك؛ كما أنه ينزل ويدنو وهو فوق العرش؛ لذلك قال شيخ الإسلام -بعد الكلام السابق -: "فهذا وإن لم يتصف به غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا كما يعجز أن يكون هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ولهذا قيل لأبي سعيد الخراز: بم عرفت الله؟ قال: بالجمع بين النقيضين.. وهو المأثور عن الأئمة المعروفين بالسنة، ولم يُنقل عن أحد منهم بإسناد صحيح، ولا ضعيف أن العرش يخلو منه".^(١٤)

(تسميته أهل السُّنة مشككين)

أما قول الشعرأوي: "وليس كما يقول بعض المشككين بأن الله قد رفع إليه محمداً عليه السلام ليكلّمه في الملكوت الأعلى، وأن هذا تحديد لمكان يوجد فيه الله سبحانه وتعالى".

(١١) ((مجموع الفتاوى)) (٥٩/١٠).

(١٢) ومن أراد أن ينظر أقوال علماء هذه الأمة على مدار القرون: فليُنظر كتابي: ((اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية)) لابن القيم، و((مختصر العلو)) للألباني.

(١٣) ((المرجع السابق)) (٤٢٤/١٦).

(١٤) ((المرجع السابق)) (٣٩٦/٥).

أقول: تسميته من يثبتون علو الله على خلقه، وأنه فوق عرشه بالمشككين ميراث من المرجئة، فهم الذين يسمون أهل السُّنَّة شكاكاً.^(١٥)

أمَّا رفع النبي صلى الله عليه وسلم إليه سبحانه، فقد ثبت ذلك في أحاديث الإسراء الصحيحة. وقال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٢٩٩): "أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان يكلم نبياً وهو على الأرض، ويكلم نبيه وهو عند سدرة المنتهى، ولو كان الله سبحانه وتعالى موجوداً في السموات وحدها ما كلم نبياً له على الأرض، ولو كان موجوداً في الأرض وحدها ما كلم نبياً عند سدرة المنتهى".

أقول: إن استدلال الشعراوي على وجود الله في كل مكان من أجل تكليمه أنبياءه في الأرض وفي السماء؛ دليل على إفلاسه من العلم والمعرفة التي كان عليها سلف الأمة، وإنما أتى من قبل التشبيه، والرب سبحانه ليس كمثله شيء، وإذا كان جبريل عليه السلام يكون عند النبي صلى الله عليه وسلم في الأرض يكلمه وهو تحت العرش في نفس الوقت، هذه قدرة ملك من ملائكة الله، أقدره الله عليها فكيف بمن هو على كل شيء قدير؟ كيف بمن {والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه}، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض)).^(١٦)

فمن هذا بعض عظمته كيف يقال عنه: "ولو كان الله سبحانه وتعالى موجوداً في السموات وحدها ما كلم نبياً له على الأرض، ولو كان موجوداً في الأرض وحدها ما كلم نبياً عند سدرة المنتهى"، وهل هذا إلا تشبيه الذي هو على كل شيء قدير بال مخلوق العاجز، سبحانه عما يقوله من لم يقدره حق قدره.

فمن هذه عظمته كيف يقال إنه في كل مكان تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ومن حجج الإمام أحمد -رحمه الله- على الجهمية ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية؛ قال: "قاعدة عظيمة في إثبات علوه تعالى، وهو واجب بالعقل الصريح والفطرة الإنسانية الصحيحة، وهو أن يقال: كان الله ولا شيء معه، ثم خلق العالم فلا يخلو إما أن يكون خلقه في نفسه وانفصل عنه؛ وهذا محال، تعالى الله عن مماسة الأقدار وغيرها، وإما أن يكون خلقه خارجاً عنه، ثم دخل فيه وهذا محال أيضاً، تعالى أن يحل في خلقه، وهاتان لا نزاع فيهما بين أحد من المسلمين، وإما أن يكون خلقه خارجاً عن نفسه الكريمة، ولم يحل فيه فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره، ولا يليق بالله إلا هو. وهذه القاعدة للإمام أحمد من حججه على الجهمية في زمن المحنة".^(١٧)

(١٥) انظر: ((تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة)).

(١٦) ((صحيح البخاري-فتح الباري)) (٣٦٧/١٣) رقم (٧٣٨٢). ((صحيح مسلم)) في وصف المنافقين رقم (٢٣).

(١٧) ((مجموع الفتاوى)) (١٥٢/٥).

المبحث الثاني: زعمه أن قرب الله قرب من القلب

قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٢٩٦): "فمن هنا فإننا لا يجب أن نأخذ الآية الكريمة: {فكان قاب قوسين أو أدنى} بأن معناها دنو في المسافة ولكن معناه قرب من القلب وهذا يأتي بالكشف".

أقول: الذي كان قاب قوسين أو أدنى في الآية هو جبريل عليه السلام، وإنما دنو الرب ليلة المعراج ورد في الحديث الصحيح، والشعراوي جعل الذي في آية النجم دنو الرب والمقصود أنه نفى دنو المسافة، وجعل ذلك قريباً من القلب يأتي بالكشف، وهذا ضلال لعدم اقتفائه آثار السلف، وبتأويلاته الكاسدة.

فالحق الذي لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دنا من ربه عز وجل ليلة المعراج دنو مسافة وقرب منه بقدر ارتفاعه، فكلما ارتفع قرب ودنا؛ لأن الرب عز وجل على العرش فوق السموات السبع، وأبعد شيء عنه مسافة الأرض السابعة السفلى، وأقرب شيء إليه عرشه الكريم، ولا ننكر قرب الرب من قلوب المؤمنين وقرب قلوبهم منه.

قال شيخ الإسلام: "قد وصف الله أنه يُقَرَّبُ إليه من يقربه من الملائكة والبشر فقال: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون}، وقال: {والسابقون السابقون أولئك المقربون}، وقال تعالى: {فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم}، وقال تعالى: {عيناً يشرب بها المقربون}..."^(١٨).

فالرب عز وجل يقرب قريباً يقوم به بفعله القائم بنفسه، فنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، ونزوله عشية عرفة، وتكليمه موسى عليه السلام هو قرب يقربه سبحانه وهو فوق عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، كذلك إتيانه ومجيئه لفصل القضاء يوم القيامة كله من باب واحد.

وقال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٢٩٧): "لأن الله سبحانه وتعالى منزله عن الزمان والمكان، لا أستطيع أن أقيس المسافة وأقول: كم صعد رسول الله في السماء؟ لأن الله ليس عنده مسافة، فلا أستطيع أن أقول: كم من الزمن استغرق ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس عنده زمن، ولكنني أستطيع أن أقول: إن ذلك حدث لأن الله سبحانه خالق السموات والأرض، وكل شيء يستطيع أن يعطل القوانين لتتم معجزة من المعجزات لأنبيائه، وكما نقول في صعود محمد عليه السلام إلى السماء نقول في القرب منه فالقرب ليس بالمسافة كما أوضحت ولكن معناه التصاق بالقلب والروح".

أقول: ورد ذكر المكان في آثار ثابتة، فلا يصح نفيه مطلقاً؛ من ذلك ما قاله حماد بن زيد: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء^(١٩)، والمكان من الألفاظ التي يجب أن يستفصل عن

(١٨) ((مجموع الفتاوى)) (٥/٥٠٩).

(١٩) ((المرجع السابق)) (٥/٣٧٦)، و((الاستقامة)) (١/١٢٧).

معناها فـ"إما أن يراد بالمكان أمر وجودي، وهو الذي يتبادر لأذهان جماهير الناس اليوم، ويتوهمون أنه المراد بإثباتنا لله تعالى صفة العلم. فالجواب: أن الله تعالى منزّه عن أن يكون في مكان بهذا الاعتبار، فهو تعالى لا تحوزه المخلوقات، إذ هو أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض،..

وإما أن يراد بالمكان أمر عديمي، وهو ما وراء العالم من العلو، فالله تعالى فوق العالم، وليس في مكان بالمعنى الوجودي...".^(٢٠)

وقد صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه فقطع مسافة معلومة محدودة حتى بلغ منتهى صعوده، وإنكار الشعراوي للمسافة؛ لأنه يعتقد أن الله في كل مكان، فتبقى المسافة لديه عدمية، كذلك إنكاره للزمن الذي صعد صلى الله عليه وسلم في خلاله إلى ربه من جنس تخبيطه، وإلا فمعلوم أنه زمان محدود معلوم في تلك الليلة.

(٢٠) انظر: مقدمة العلامة الألباني لـ((مختصر العلو للعلّي الغفار)) (ص٧٢-٧٣).

المبحث الثالث: الشعراوي والقبور^(٢١)

وجّه رئيس تحرير ((مجلة المجاهد)) أسئلة إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي:^(٢٢)
"السؤال الأول يدور حول الصلاة في المساجد التي فيها أضرحة، وقد أجاز فضيلته الصلاة في تلك المساجد.

والسؤال الثاني أجاز فيه تقبيل المقاصير المقامة حول تلك الأضرحة".

أتى الناس هذه الأعمال من تقبيل المقاصير والأعتاب والطواف حول القبر، وطلب المدد من المقبور، وقصد الصلاة في المساجد التي فيها القبور؛ لاعتقادهم أن أصحاب هذه القبور لهم خاصية عند الله فوق خاصية بقية البشر، يمكن أن ينفعوا الناس، ويكشفوا عنهم الضرر، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم؛ يسمعون دعاء الداعين، ويملكون إجابة دعاء من دعاهم.

وقد جاء الإسلام فنأدى بوجوب إبطال هذا كله وأمثاله، وترك الناس على الحق الذي لا تشوبه أية شائبة، واعتبر هذا كله من الجاهلية بحيث لا تجتمع والإسلام في قلب رجل أبداً.

أمّا عن السؤال الأول: فقد قرّر فضيلته أنه لا مانع من الصلاة في المساجد التي فيها القبور، وذكر الحديث: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))^(٢٣)، ثم قال إن الحديث نصٌّ على أن المكان الممنوع فيه الصلاة هو مكان اللحد المقبور فيه الميت، أما حوله فلا مانع من الصلاة فيه؛ وهاك نص عبارته: "فنحن نُسَلِّم بالدليل -يعني بالحديث المذكور آنفاً- ولكن نسأل فنقول: ما هو القبر؟ القبر: ما قُبر فيه الإنسان وووري في التراب، يعني اللحد، يعني القبر مكان دفن الميت، وهل القبر يتخذ في أي مكان من المسجد أم أنه يوضع وحوله سياج أي مانع؛ وهو ما نسميه المقصورة ليكون مقصوراً؛ أي محبوساً عن المسجد؛ أي قصرت على القبرية فلا تتعدى مكاناً آخر من المسجد".

وهنا أسأل فضيلته عن معنى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بالحبشة فيها تصاوير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)).

وأسأل فضيلته: هل أقيمت الكنيسة فوق مكان اللحد؟

(٢١) ((مجلة التوحيد)) (ص ٣٩-٤٤) جمادى الأولى عدد ٥ - ١٤٠٢ هـ: تحت عنوان: "لا..يا فضيلة الشيخ!!-بقلم/ علي حفي إبراهيم".

وانظر: ((مجلة التوحيد)) (ص ٣٤-٣٩) جمادى الآخرة عدد ٦ - ١٤٠٧ هـ: تحت عنوان: "اتق الله يا شيخ شعراوي".

(٢٢) ((مجلة المجاهد)) عدد شهر ذي الحجة ١٤٠١ هـ.

(٢٣) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) رقم (١٣٣٠)، ومسلم في ((صحيحه)) رقم (٥٢٩).

هذا غير مقبول بالمرّة؛ إذ لا يمكن أن تُسمّى كنيسة بهذا الحجم الصغير على سعة القبر فقط، كما أنهما رضي الله عنهما سألنا عن الكنيسة لا عن القبر، وإنما المفهوم من الحديث أنهم أقاموا الكنيسة وأدخلوا فيها الميت الصالح منهم، كما هو الحال في المساجد التي فيها القبور اليوم. والأعجب من هذا أن يحتج فضيلته بما عليه الحال في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ المعروف أن المسجد الشريف يضمّ القبر الشريف، وقبري الصحابين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وليس لفضيلته حجة في ذلك إذ أنه صلى الله عليه وسلم قد مات في حجرة عائشة رضي الله عنها، وقد كانت حجرات نسائه رضي الله عنهن ملاصقات للمسجد، وما كان يفصل بين الحجرات وبين المسجد إلا ستراً أو باب، ولمّا مات صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها دفن فيها بناء على ما بيّنه أبو بكر، حتى جاء الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقام بتوسيع المسجد عام (٨٨) هجرية، وأدخل القبر الشريف في المسجد، وكان ذلك لأهداف سياسية لا يتسع المقام لذكرها، وما أظن فضيلته يجهل هذه القضية. والعبارة هنا بما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن المساجد؛ إذ أن الأحكام منوطة بما حكم به الله ورسوله، وليس بما أحدث الناس....

وقد يدعي البعض أن العبرة هنا بنية الإنسان؛ فما دامت نيته سليمة، والإخلاص رائده يحكم على عمله بالصحة والقبول. والحق أن الله كما طالبنا بالإخلاص فإن له شرعاً ومنهجاً يطالبنا بتنفيذه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم أن نتخذ على القبور مساجد، فكيف يُجيز فضيلته الصلاة فيها بعد هذا النبي.

ولقد منع صلى الله عليه وسلم بناء المساجد على القبور صيانة لحمى التوحيد؛ الذي هو الركن الأول في الإسلام، وإنك لو رأيت أيها القاريء الكريم الناس وهم يطوفون حول القبر داعين راجين الميت، يستلمون المقاصير لتقبيلها ضارعين لهذا الميت لكي يقضي لهم حاجاتهم، ويُفَرِّج عنهم كربهم، لعلمت الحكمة التي من أجلها حرّم الإسلام ذلك؛ إذ أن ما يقومون به حول هذه الأضرحة يتعارض مع توحيد الله عز وجل، ثم إليك أيها القاريء الكريم بعض الأدلة التي تنهى عن إدخال القبور داخل المساجد:

١- قال الله تعالى في سورة الجن: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}.

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال الرسول صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً. متفق عليه^(٢٤)

(٢٤) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) رقم (١٣٣٠)، ومسلم في ((صحيحه)) رقم (٥٢٩).

٣- عن جندب قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك)). متفق عليه

٤- روى سعيد بن منصور في ((سننه)) عن سهيل بن أبي سهيل قال: رأني الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء)).

•• وأما السؤال الثاني الذي أجاز فيه فضيلته تقبيل المقاصير؛ فهو يقول: "إنه بينما كان يقرأ الفاتحة للحسين رضي الله عنه، إذ أقبل عليه أحد الناس وسأله أن ينكر على رجل رآه يقبل المقصورة، فقال فضيلته للسائل: إني أريد أن أقبل رأسك فلما قبّلت رأسه، قلت: هل أنت راضٍ؟ قال: نعم. فقلت له لماذا؟ قال: لأنك قبّلت رأسي. فقلت له: والله ما قبّلت رأسك، وإنما قبّلت عمامتك؛ لأن بين فمي ورأسك عمامة ضخمة. ومن هنا نعلم أن من قبّل المقصورة ليس معناه أنه قبّل الحديد، وإنما يُقبّل ما في القبر حباً فيه". انتهى كلام الشيخ

بالله عليك أليست هذه مغالطات؟ إن هذا الكلام لا يحتاج إلى ردٍّ يُبطله؛ إذ أنه واضح البطلان.

فيكفي أن هناك فرقاً بين الحي والميت، وأن الذي يُقبّل رأسك وتُقبّل رأسه حيٌّ يسمعك، ويبادلك الحبّ والحديث، بل لو قبّلت رأس من قبّلت بخضوع وخشوع فإن ذلك لا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ إذ أن الخضوع لا ينبغي أن يكون إلا لله وحده.

والأهم من ذلك القصد من تقبيل المقاصير: أن المقبّل للمقاصير إنما قبّل النحاس والخشب المضروب حول الميت، ولم يقبّل إنساناً، ثم هو ما قبّله إلا اعتقاداً منه أن الولي الميت فيه بركة أفاضت على ما حوله من الجمادات، فأصبحت هي الأخرى شيئاً تستمد منه البركة والبر والرحمة، وهكذا استطاع الشيطان أن ينزل بالناس إلى هذا المستوى من التفكير.

وهذه القضية تدور حول الاعتقاد أن هذا الولي حي في قبره يرى الناس ويسمع كلامهم، وإلا لما فعل الناس بالمقاصير هذا الذي فعلوه من التقبيل والطواف حول قبره؛ يضاؤون بذلك بيت الله الحرام.

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بينما أنا على الحوض إذ يمرُّ عليّ رجال من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما

أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاَ سحقاَ لمن بدّل بعدي، أنا بريء ممن بدل بعدي)). فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته لم يعرف عن دنيانا شيئاً، أفترى أن من دونه يتصل بالناس الأحياء، ويسمع منهم؟!!

على أننا لا ينبغي أن نترك مسألة قراءة الفاتحة تمرُّ من غير بيان للحق والباطل فيه. هل يجوز قراءة القرآن للموتى؟ نحن لو تفهّمنا سورة الفاتحة من أولها إلى آخرها فسنجدّها تخاطب الأحياء دون الأموات، بل القرآن كلّهُ على ذلك يخاطب الله عباده الأحياء يرشدهم إلى التي هي أحسن، يقول تعالى من سورة يس: {إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين}، وجاء في صحيح مسلم: ((والقرآن حجة لك أو عليك))، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكررت زيارته للمقابر، ومع ذلك لم يثبت عنه أنه قرأ شيئاً من القرآن للموتى، وإنما كان يقول: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله لآحقون اللهم اغفر لهم واحمهم))^(٢٥)، إلى غير ذلك من الأحاديث، هذا ولم نجد لمن يُجيز قراءة القرآن على الميت حجة من قرآن أو حديث.

(٢٥) أخرجه مسلم في ((صحيحه)) رقم (٩٧٤): بلفظ: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين! وأتاكم ما توعدون، غداً مُؤجّلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم! اغفر لأهل بقيع الغرقد)).

المبحث الرابع: التوسل بالأولياء والصالحين^(٢٦)

وجّه رئيس تحرير ((مجلة المجاهد)) أسئلة إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي:
والسؤال الثالث أجاز فيه التوسل بالأولياء والصالحين.

وهذا الذي أجازَه فضيلة الشيخ كان عليه الناس قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث كانت من جنس عقائد الناس اليوم في الأولياء والصالحين؛ حيث كانوا يعتقدون فيهم البركة والنفع والضرر، وكانوا يستغيثون بهم ويسألونهم كشف الكربات وجلب المنافع، وكانوا يتوسلون بهم، إلى الله سبحانه، وقد جاء الإسلام فطهر قلوب الناس منها، وأقامهم على الحق الخالص القائم على العلم، فقرّر أن كل إنسان موقوف على عمله: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}، {كل نفس بما كسبت رهينة}، وأن الإنسان حياً كان أو ميتاً؛ عبداً لا يملك لنفسه أو لغيره ضرراً ولا نفعاً، وأن الميت قد أصبح بمعزل عن الدنيا لا يدرى عنها شيئاً، وقد أصبح في عداد أهل الآخرة يُنعم أو يُعذب بما أعد الله له حسب عقيدته وعمله من حيث لا يعلم الأحياء من ذلك شيئاً؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهله وعشيرته: ((اعملوا فلن أغني عنكم من الله شيئاً))، ويقول الله تعالى: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون}.

اللهم إنا نشهد أنه لا ينفع الإنسان عندك إلا عمله وإيمانه، وأنه من بطأ به عمله لم يُسرعه به نسبه، وأنه لا صلة بين الله وبين أي أحد من الخلق إلا صلة عبد برب، يستوي في ذلك الخلق جميعاً حتى رسل الله. وإنما حجتنا في ذلك القرآن والحديث، وبين أيدينا قصص أنبياء الله نوح وإبراهيم وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: {ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار}. وربما يقول البعض إن كلمة {نعبدهم} تعني أن المشركين عبدوا الأولياء واتخذوهم وسطاء، ونحن لم نعبد الأولياء، وردُّنا أن لفظ (عبادة) معناه الخضوع والخشوع والذل. تقول العرب: طريق معبّد، وناقعة معبدة؛ يعني: سهلة وذلولاً. والذين يتوسلون بالموتى ينتابهم نفس الشعور والإحساس من الخضوع والخشوع ثم التذلل بناء على ما اعتقدوه أن فيهم سرّاً وبركة، والعجب من فضيلته إذ يسوق قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في استسقائه بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه على أنها حجة على التوسل بالموتى، والحق أن هذه القصة حجة عليه، وليست له؛ فإن عمر بن الخطاب قد توسل بالعباس وهو حيٌّ، وترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إنا كنا نتوسل بنبيك فتسقيننا، وها هو نبيك قد مات، ونحن

(٢٦) ((مجلة التوحيد)) (ص ٣٠-٣٣) جمادى الأولى عدد ٥ - ١٤٠٧ هـ؛ تحت عنوان: "اتّق الله يا صاحب الخواطر".

نتوسل بعم نبيك فاسقنا". ومعنى التوسل هنا: أن يجعله إماماً في دعاء صلاة الاستسقاء، فهل وضع الأمر؟^(٢٧)

قال محمد نجيب لطفي: "الام هذا السقوط المريع، والتخبط الرهيب، والعبث بعقيدة هذه الأمة؟! "

وإلى متى يستمر هذا الكمُّ الهائل من الفتاوى الباطلة: التي تفرض على العامة والدهماء من الناس، فرضاً فلا يستطيعون أن يميزوا الخبيث من الطيب، ومن ذلك ما ورد في عدد سابق من ((مجلة التصوف)) حيث أفتى الشيخ الكبير صاحب الخواطر تحت عنوان (لكل سؤال جواب): فأباح التوسل بالأولياء على ما فيه من شرك ووثنية وضلال وقيورية، وليست هي المرة الأولى التي يبيح فيها الشيخ ذلك التوسل الشرقي، فلقد سبق له الكلام في هذا الصدد غير مرة عبر التلفاز، وعبر المجلات، والكتب من خلال مقالاته وفتاويه.

ورداً عليه نقول: يا صاحب الخواطر اتق الله، اتق الله في دينك، اتق الله في عقيدتك، اتق الله في الملايين الذين يتبعونك معتقدين أنك على الصواب دائماً.

فقضية التوسل تكلم فيها علماء الأمة من أهل السنّة والجماعة قديماً وحديثاً على هدى من القرآن والسنّة، حتى بلغ ما كتبوه في هذا مبلغاً عظيماً، ولست أدري لماذا الإصرار على مخالفة الكتاب والسنّة وآراء أهل السنّة والجماعة!!

ألم تقرأ يا صاحب الخواطر قول الحق سبحانه وتعالى: {قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله}[يونس/٤٩]؟، ألا تعرف هذه الآيات البينات: {قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً}[الجن/٢١-٢٢]؟، ألم تقرأ هذه النصيحة الخالدة من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إلى ابن عباس رضي الله عنهما: ((يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف))؟ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وإني سائلك أيها الشيخ: أين أدلتك التي بنيت عليها حكمك؟ فالعجيب أنه لم يأت بدليل صحيح واحد يدل على صدق ما يقول.

وسأكتفي بما أوردت من أدلة: لأن الأدلة فوق الحصر والاستقراء، ومن أراد مزيداً منها فليرجع إليها في مظانها من قرآن وسنّة، وما خطته أقلام علماء أهل السنّة والجماعة، وما تكتبه مجلة التوحيد دائماً في جل أعدادها.

(٢٧) ((مجلة التوحيد)) (ص ٤٤، ٣٩، ٤٥) جمادى الأولى عدد ٥ - ١٤٠٢ هـ: تحت عنوان: "لا..يا فضيلة الشيخ!! بقلم/ علي حفي إبراهيم".

ولا يسعني ألا أن أنقل لصاحب الخواطر رأي أحد المفسرين في قضية التوسل، فلعله يرجع إلى الصواب، ويعلم أن القول على الله بغير علم من أبشع ما يكون.

فهذا هورأي الإمام الشوكاني -برغم تحفظنا على بعض آرائه وعلى سبيل المثال لا الحصر مسألة خلق القرآن- حيث يقول في تفسيره المسقى "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"^(٢٨) في تفسير قول الحق سبحانه وتعالى: {قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله}{يونس/٤٩}، ما نصّه: "وفي هذا أعظم واعظ، وأبلغ زاجر، لمن صار دينه وهجيره المناداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، وكذلك من صار يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه، فإن هذا مقام رب العالمين، الذي خلق الأنبياء والصالحين وجميع المخلوقين، ورزقهم وأحياهم ويميتهم، فكيف يطلب من نبي من الأنبياء، أو ملك من الملائكة أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه غير قادر عليه، ويترك الطلب لرب الأرباب، القادر على كل شيء الخالق الرازق، المعطي المانع؟ وحسبك بما في هذه الآية موعظة، فإن هذا سيّد ولد آدم وخاتم الرسل يأمره الله بأن يقول لعباده: لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً، فكيف يملكه لغيره؟ وكيف يملكه غيره ممن رتبته دون رتبته ومنزلته لا تبلغ إلى منزلته لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره؟ فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات؛ الذين صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم من الحوائج ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك، ولا ينتبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى (لا إله إلا الله) ومدلول {قل هو الله أحد}.

وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء، ولا ينكرون عليهم، ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى، بل إلى ما هو أشد منها؛ فإن أولئك يعترفون بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المحيي المميت، الضار النافع، وإنما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله، ومقربين لهم إليه. وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضّر والنفع، وينادونهم تارة على الاستقلال، وتارة مع ذي الجلال، وكفاك من شرّ سماعه، والله ناصر دينه، ومظهر شريعته من أضرار الشّرك، وأدناس الكفر، ولقد توسل الشيطان -أخزاه الله- بهذه الذريعة إلى ما تقرّب به عينه، وينتج به صدره من كفر كثير من هذه الأمة المباركة، وهم يحسنون أنهم يحسنون صنعا، إنا لله وإنا إليه راجعون". انتهى كلام الشوكاني-رحمه الله-.

ولقد اخترته حتى يعلم القوم الفرق بين المفسرين وأصحاب الخواطر، والفرق بين التفسير والخواطر.

وإذا كان الشوكاني ينعى سكوت العلماء ويعجب له، فهل ترى ماذا كان قائلاً لو علم أن من يسمّون بالعلماء هم الذين يأمرؤهم بهذا الشرك والضلال، وهم الذين يدفعون بالملايين من العامة والدهماء إلى الوثنية والقبورية؟

فيأياها الشيخ ألا من تصويب لعقيدتك وتصحيح لأفكارك فالموت قريب قريب، والوقوف أمام الله أمره رهيب، ويوم القيامة يوم جدّ عصب، فلتتق الله ولتقرأ قوله: {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون}[البقرة/٢٨١].

اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد {والله يقول الحق وهو يهدي السبيل}."

المبحث الخامس: كلامه في السحر

قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ١٧) -في كلامه على سجود سحرة فرعون:-
"فلما رأوا معجزة موسى كانوا أقدر الناس على فهمها والسجود لها".

أقول: السجود للمعجزة كفر، والسحرة إنما سجدوا لله.

وقال بعد ذلك: "وخروا ساجدين لله". وهذا صواب.

ثم قال: "فإذا بهم أول من يسجد لهذا الدين". وهذا خطأ؛ فليس السجود للدين، وإنما هو لله.

وقال: "فجاء موسى عليه السلام بمعجزة السحر، وتحدى قومه".

أقول: الذي جاء به موسى -عليه السلام- ليس سحراً، وإنما هو آيات من آيات الله -عز وجل-، وقد سماها الله آيات بينات ولم يسمها سحراً؛ قال تعالى: {فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى.. الآية}، وقال تعالى: {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا.. الآية}.

ولذلك فقول الشعراوي في (ص ٢٨): "وأعطى السحر لموسى فغلب السحرة"!!، وهذا كفر؛ وإذا كان الله ذم السحر والسحرة، فكيف يعطيه نبيه ويجعله ساحراً؟!!

قال ابن كثير -رحمه الله-: "قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعث الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار.. الخ".^(٢٩)

(٢٩) ((تفسير القرآن العظيم)) (١/٣٦٤).

المبحث السادس: لا يقدر على الخلق إلا الله

قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٢٨): "الله أعطى لإبراهيم قدرة الخلق حينما طلب منه أن يأتي بالطير ويقطعها، ثم يضع على كل جبل جزءاً، ثم يدعوها فتأتي له سعيًا".

أقول: الله سبحانه وتعالى لم يعط لإبراهيم عليه السلام قدرة الخلق ولا لغيره، والذي فعله إبراهيم أنه أخذ أربعة من الطير، فذبحهن وقطعهن، وجعل على كل جبل منهن جزءاً، وأخذ رؤوسهن بيده، ثم أمره الله أن يدعوهن، فدعاهن كما أمره الله عز وجل، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء إلى الأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض، حتى قام كل طائر على حدته، وأتينه يمشين سعيًا؛ ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام، فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم له رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته؛ كما ذكر نحو ذلك ابن كثير في ((التفسير)) عن ابن عباس.

وكذلك الآية ترد زعم الشعراوي؛ حيث قال إبراهيم: {أرني كيف تحيي الموتى}، فنسب القدرة على إحياء الموتى لربه؛ يعنى كيف تحيي أنت الموتى؟ لم يقل لربه: اجعلي أقدر على الخلق. كذلك عيسى ابن مريم عليه السلام؛ ذكر ابن كثير في التفسير أنه يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله. فهو يخلق من الطين كهيئة الطير؛ يعني شكله بيده، ثم ينفخ فيه، فيخلقه الله بواسطة هذا النفخ من عيسى؛ كما يخلق الله روح الجنين وهو في بطن أمه بواسطة نفخة الملك فالقدرة على الخلق لا أحد يستطيعها غير الرب عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والملائكة إنما هي سبب من الأسباب، كما في خلق عيسى من غير أب، فجبريل إنما كان مقدوره النفخ فيها، وهذا لا يوجب الخلق، بل هو بمنزلة الإنزال في حق غير المسيح، وكذلك المسيح لما خلق من الطين كهيئة الطير، إنما مقدوره تصوير الطير، وإنما حصول الحياة فيه بإذن الله، فإن الله يحيي ويميت، وهذا من خصائصه".^(٣٠)

(٣٠) ((النبوات)) (٤٣٨).

الفصل الثالث: بعض آراؤه في مسائل متفرقة

المبحث الأول: تفسيره القرآن برأيه

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار))^(٣١)، ولونظرنا وبأدنى تأمل إلى مؤلفات الشعراوي لوجدنا أنه لا يعتمد في تفسيره على نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة، أو التابعين، ولا يذكر عالماً من علماء المسلمين، ولا أثراً من آثارهم، وإنما يقول في القرآن برأيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن ذلك كتاب ((من فيض الرحمن في معجزة القرآن)) الذي بلغت صفحاته (٤٥٠) صفحة، والأمثلة على ذلك كثيرة، مضى بعضها، ويأتي بعض آخر في ثنايا هذا البحث -إن شاء الله-. ومنها مثلاً ما قاله الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ١٧٤): "وتمضي الآيات الكريمة فتقول: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} وهنا يريد الله سبحانه وتعالى أن يؤكد لنا أنه لا يعطي الشفاعة إلا من أذن له، أي أنه سبحانه وتعالى يريد أن يقول: لا تخف من أي إنسان في الدنيا مهما كان ظالماً، ولا تخش أحداً مهما كان جباراً، فهؤلاء جميعاً ليس لهم شفاعاة عندي حتى أمكنهم منك، ولكن الذي له الشفاعة عندي هو من أذن له، ومن يأذن له الله يجب أن يكون قريباً من الله وكل ظالم أو جبار في الأرض هو بعيد عن الله سبحانه وتعالى".

أقول: هكذا يفسّر الشعراوي الشفاعة برأيه، ويجعلها من الأمور الدنيوية، وأصغر طلبية العلم يعرف المراد بالشفاعة، وأنها في الآخرة، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، وأن الآية جاءت إنكاراً على المشركين أن ينتفعوا بشفاعة الشافعين يوم القيامة.

فالشيخ الإسلام: "ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي الشرك؛ وهو أن أحداً لا يعبد إلا الله، ولا يدعو غيره، ولا يسأل غيره، ولا يتوكل على أحد في أن يرزقه، وإن كان يأتيه برزقه بأسباب، كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعاة وغيرها.

فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقاً ما كان فيها شرك، وتلك منتفية مطلقاً، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وتلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، فهي في التوحيد، ومستحقها أهل التوحيد".^(٣٢)

(٣١) ((سنن أبي داود)) (٣٦٥٢)، ((سنن الترمذي)) (٢٩٥٢)، ((سنن النسائي-الكبرى)) (٨٠٨٤)؛ الحديث مداره على عبد الأعلى

بن عامر، قال أبو زرعة: ضعيف، وتركه ابن مهدي.

(٣٢) ((مجموع الفتاوى)) (٧٨/٧).

ومنها ما قال في ((من فيض الرحمن)) (ص ١٨٢) عند ذكره قوله تعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال.. الآية}، "الأمانة هنا معناها حرية الاختيار دون أي ضغط خارجي".

أقول: هكذا يفسّر القرآن برأيه، والذي ذكره المفسرون غير ذلك، فيروى عن ابن عباس: أنها الفرائض، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصري. كما نقله ابن كثير في ((التفسير)).

المبحث الثاني: احتقار السلف

قال الشعراوي ((من فيض الرحمن)) (ص ٣١) -تحت عنوان: (معجزة القرآن وكيف تختلف):- "ولكن الذي يجب أن نعرف أن للقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجيل السابق".

أقول: هذا الكلام وما يشبهه يُردّده المتأخرون في مؤلفاتهم؛ زاعمين بذلك أنه فتح لهم من معاني القرآن ما لم يفتح لغيرهم، واكتشفوا منه ما لم يكتشفه غيرهم؛ حيث بهرتهم هذه الخوارق والعلوم المادية، التي فتحت على أعداء الله فتنةً لهم فصاروا يؤولون القرآن على غير تأويله ليجاري هذه الفتنة، وقد صرفوا حقيقة معاني القرآن الكريم بتأويلاتهم الباطلة الفاسدة.

وحقيقة هذه الدعوى تجهيل الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، وعلماء الأمة السابقين؛ حيث لم يصلوا بالفهم الدقيق إلى عمق معاني آيات القرآن، -نعوذ بالله من الضلال-، ومعلوم أن من جاء بعدهم إنما تكون هدايته بحسب موافقته لهم بما فهموه من القرآن، وعملوا به، وضلاله بحسب مخالفته لهم في ذلك.

ثم قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٣٢): "نأتي بعد ذلك إلى الأشياء المتصلة بقوانين الكون والخلق، تلك الأشياء التي لم يكن للعقل البشري الاستعداد العلمي وقت نزولها ليفهمها تماماً".

أقول: هذا الكلام فيه تنقص وإزراء على النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، فقد زعم أنه لم يكن لعقل النبي صلى الله عليه وسلم، وعقول الصحابة رضي الله عنهم الاستعداد العلمي لفهم قوانين الكون والخلق، وهذا ضلال، وما سببه إلا الوقوع في فتن الغربيين، كما يقول الشعراوي وغيره ويصرحون بأن معاني آيات الخلق في القرآن لم تكن تعرف حتى ظهر هذا العلم الحديث، فما أعظم الجناية.

قال الدكتور محسن عبدالحميد -أستاذ التفسير في جامعة بغداد:- "مئات الآيات الكونية الماثلة في ثنايا القرآن الكريم، فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يفهمها ولا سأل عنها الصحابة، وإنما كانوا يفهمونها على ظاهرها.

وكانوا يعلمون أن التدقيق والتعمق في معانيها لا ينبغي عليها عمل، ثم إن الوصول إلى حقائق معاني الآيات الكونية وأسرارها وعللها ليس من مهمة النبوة، وإنما هو من مهمة العقل الإنساني، يكتشف قوانين الوجود، ويصل إلى معرفة تفاصيلها عبر المسيرة الحضارية البشرية الطويلة، فالرسول الكريم كان نبياً رسولاً، ولم يكن عالماً يزاول العلم بالمعنى الاصطلاحي.

وتعمق العلماء اليوم في معاني تلك الآيات دليل على صدقه في نبوته ورسالته، إذ لو كانت تلك الآيات صادرة عن علم ذاتي؛ لكان ذلك العلم يصدر حتماً عن علم زمانه، وتطور علم زمانه

كان يومئذٍ بمستوى تقدم العلم والحضارة في ذلك الزمان، ولو كان ذلك كذلك، لاكتشفنا في القرآن عشرات الأخطاء العلمية.

فلما كانت حقائق القرآن الكونية والعملية لا تصطدم اليوم مع الحقائق العملية القاطعة، التي أظهرها التقدم العلمي الكبير في زماننا علمنا أن الرسول الكريم كان نبياً رسولاً؛ يتلقى الوحي من إله محيط بالوجود كلّهُ، من الذرة الصغيرة إلى المجرة الكبيرة. يقول الدكتور موريس بوكاي -العالم والجراح الفرنسي المشهور-: (إن توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثة يتضح، ولكن المهم أيضاً مقابلتها بالمعتقدات العامة في هذا الموضوع، والتي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أي حدٍ كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن حيافة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن في هذه المسائل، وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي مثلما ندركه نحن اليوم، ذلك أن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره، الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفة واضحة إلى حدٍ ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر)^(٣٣).

(٣٣) ((تطور تفسير القرآن-قراءة جديدة)) (ص ١٩).

المبحث الثالث: الشعراوي والحديث

إن الذي يقوم بتأليف كتاب، ويضع فيه أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن عليه أن يُخْرِجَهَا وأن يحققها^(٣٤)، وإن كان أهل هذا العلم لا يعفون من المسؤولية المؤلف الذي يقوم بتخريج أحاديث كتابه دون تحقيقه، ولو بالنقل عن بعض الأئمة، ويعتبرون أن هذا الصنيع لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هو أقرب إلى الغش والتدليس على القراء منه إلى نصحتهم ونفعهم ولو أنه لا يقصد ذلك؛ لأن عامة القراء لا يُفَرِّقون بين التخريج والتحقيق، فيتوهمون من مجرد العزو لإمام من أئمة الحديث الصحة، ولا تلازم بينهما إلا نادراً، والذين يعرفون الفرق المذكور سيظلون حيارى أمام التخريج، لا يعرفون منه أصحح حديثه أم ضعيف؟ هذا إن لم يميلوا إلى استلزام الصحة منه على الرغم من معرفتهم المشار إليها؛ يحملهم على ذلك حسن ظنهم بالمؤلف، لا سيما إذا كان من أصحاب الشهرة الواسعة، جاهلين أن الأمر يتطلب علماً واسعاً بفن التصحيح والتضعيف، والجرح والتعديل، ونقد الأسانيد والمتون، ومعرفة العلل؛ لا سيما الخفية منها.

وذلك يحتاج -مع التخصص- إلى جهد عظيم، وممارسة طويلة الأمد من نفس مؤمنة صابرة صامته، دائبة على البحث في كتب السُّنَّة وأسانيد أحاديثها، وتراجم رجالها المطبوع منها والمخطوط، والنظر في نقد الأئمة للأسانيد والمتون، المتقدمين منهم والمتأخرين، ومقابلة أقوالهم وترجيح الراجح منها.

ومن الأمثلة كتاب **((الدعاء المستجاب))** للشيخ الشعراوي؛ الذي لم يخرج ولم يحقق أحاديثه؛ ولذلك جاءت في الكتاب أحاديث ضعيفة وموضوعة وباطلة، وأحاديث لا أصل لها، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: في (٨٨) قال: "فقد تتحول إلى عبد رباني تقول للشيء كن فيكون، جاء في الحديث القدسي الشريف: ((عبي أطعني تكن عبداً ربانياً؛ تقول للشيء كن فيكون))".

هذا حديث لا أصل له، وكذب وافتراء على الله لأن الكلمة الكونية في قوله تعالى: {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون} [يس/٨٢]؛ هي من حق الله، ولا يملكها غيره، وعلامات الوضع ظاهرة عليه كما في ((المنار المنيف)) فصل (١٤) ح (١٤٣)، وكذا في ((تدريب الراوي)) (٢٧٧/١)، وهو من وضع الصوفية حتى وصل بهم الكذب إلى أن جعلوا الله سبحانه طوع أمر العبد، فيقول ابن عطاء السكندري في كتابه ((لطائف المنن)) في مناقب شيخه المرسي أبو العباس (ص ٣٠): "وقد قال الشيخ أبو الحسن: إن في بعض كتب الله المنزلة على بعض

(٣٤) التخريج: هو الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده.

والتحقيق: هو بيان مرتبته من الصحة أو الضعف.

أنبيائه: من أطاعني في كل شيء، أطعته في كل شيء". والأعجب تفسيرهم الحلولي لهذا الحديث المكذوب البعيد عن الكتاب والسنة المعزو لكتب غير معروفة.

وتأمل هذا التفسير الأثري من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما- لقوله تعالى: {كونوا ربانيين} [آل عمران/ ٧٩]، قال: "كونوا ربانيين حكماء فقهاء"^(٣٥)، هذا هو تفسير السلف الصالح لكلمة ((رباني))، فأين هذا مما يطلقه الصوفية على كل جاهل مبتدع يترك الجمعة والجماعة، ويدعي أنه يصلي في الكعبة، إلى غير ذلك من البدع، ويقولون إنه (عبد رباني)، ثم لا يكتفون بذلك بل يصفونه بأنه: (يقول للشيء كن فيكون)، انظر كيف وصل الجهل بأهله، بل وصل بهم التحريف إلى أن يجعلوه حديثاً قدسياً؛ {فسبحان الله رب العرش عما يصفون} [الأنبياء/ ٢٢].

ثانياً: في (ص ٨٠) أورد الشيخ حديثاً يقول فيه: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال صلى الله عليه وسلم: يا أنس أطلب كسبك تجب دعوتك، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه (فمه) فلا تستجاب له دعوة أربعين يوماً".

هذا الحديث منكر، ولم يذكر الشيخ له تخريجاً ولا تحقيقاً، بل مع الضعف الشديد زاده الشيخ ضعفاً على ضعفه بتحريفه لمتن الحديث، والحديث هو: ((يا سعد أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفسي بيده، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً)).^(٣٦)

ثالثاً: في (ص ٦٥) أورد حديثاً قال فيه: "وروي عن ابن ثابت رضي الله عنه أنه شكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأرق.. فقال عليه الصلاة والسلام قل: ((قل اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم.. يا حي يا قيوم أهدأ ليلي وأنم عيني))، قال: فقلتها فأذهب الله ما كنت أجده".

قلت: الحديث (منكر) لم يذكر الشيخ له تخريجاً ولا تحقيقاً، وإليك التخريج والتحقيق؛ فالحديث: أخرجه الطبراني في ((الكبير)) رقم (٤٨١٧)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) رقم (٧٥١)، وابن عدي في ((الكامل)) (١٥٠/٥) تراجع (١٣١٤/٣٤٦)، وابن حبان في ((المجروحين)) (٢٨٠/٢) من طريق عمرو بن الحصين العقيلي، حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة، حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: سمعت عبد الملك بن مروان بن الحكم

(٣٥) البخاري في ((صحيحه)) (١٩٤/١) كتاب العلم-باب العلم قبل القول والعمل، تعليقاً بصيغة الجزم. قال الحافظ ابن حجر: "هذا التعليق وصله ابن أبي عاصم أيضاً بإسناد حسن، والخطيب بإسناد آخر حسن، وقد فسّر ابن عباس الرباني بأنه الحكيم الفقيه، ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبراهيم الحربي في غريبه عنه بإسناد صحيح... قال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً".

(٣٦) ((مجلة التوحيد)) (ص ٣٢-٣٥) رمضان عدد ٤ - ١٤١٢هـ: تحت عنوان: "دفاع عن السنة المطهرة- بقلم علي إبراهيم حشيش"

ولذلك قال الشيخ الألباني في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة)) (١/٤١-٤٢): "فإذا كان الأمر كذلك في عهد ابن الجوزي، فكم يكون عدد العلماء الذابين عن الحديث في هذا العصر؟ لا شك أنهم أقل من القليل، وهذا مما يؤكد علينا وجوب الاستمرار في نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ تحذيراً للناس، وقياماً بواجب بيان العلم، ونجاة من إثم كتبه". قلت: ولو قام الشيخ الشعراوي بتخريج الحديث وتحقيقه، بل لورجع لكتب -الموضوعات- إن لم يتيسر له التخريج والتحقيق؛ لعلم أن هذا الحديث غير صحيح، ولا ينبغي أن يكرر ليكون للناس دستوراً، فلورجع الشيخ إلى:

١- ((الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)) للشوكاني (ص ١٤٦) لوجد الحديث مذكوراً في كتاب المعاملات برقم (١٨)، وقال الشوكاني في مقدمته: "أجمع في هذا الكتاب جميع ما تضمنته المصنفات من الأحاديث الموضوعة"، ثم أشار بأن الحديث ذكر في ((المقاصد)) وقال السخاوي: ضعيف، وقال التقي: لا يصح، وقال المعلمي اليماني -محقق الكتاب بالهامش عن الحديث- في سنده عمرو بن الحصين أحد الهلكى.

٢- ((كتاب تمييز الطيب من الخبيث)) لابن الديبع (ص ١٧٧-رقم ١٣٢٥) قال: "أخرجه القضاعي عن أبي سلمة الحمصي به مرفوعاً، وأبو سلمة قاضي حمص: لا صحبة له، فهو مع ضعفه مرسل وفي سنده متروك. قال التقي السبكي: إنه لا يصح؛ ومعناه أن كل ما أصيب من غير حله، ولا يُدرى ما وجهه أذهب الله في مهالك وأمور متبددة". مع ملاحظة أن ((التمييز)) اختصار للـ((مقاصد)).

٣- ((كشف الخفاء ومزيل الإلباس)) للعجلوني (٢/٢٢٦) رقم (٢٣٧٤) قال: "رواه القضاعي عن أبي سلمة الحمصي مرفوعاً، وكذا في الميزان في ترجمة عمرو بن الحصين، لكن أبا سلمة الحمصي ضعيف ولا صحبة له، وعزاه الديلمي ليحيى بن جابر، وليس هو أيضاً بصحابي، قال التقي السبكي: لا يصح".

٤- ((سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة)) للألباني (١/١١٥-١١٦/رقم ٤١) قال: "لا يصح" (٤٠).

[وبعد هذا البيان] قد يقول بعض الذين لا دراية لهم بعلم الحديث: إن هذا الحديث ((من أصاب مالاً من مهاوش أذهب الله في نهابر)) يرهب الناس من أخذ المال الحرام فهو يخدم الدين!!

ونردُّ على هؤلاء يقول الحافظ ابن كثير في كتابه ((الباعث الحثيث)) (ص ٢٤٠، ٢٣٨): "والواضعون أقسام كثيرة: منهم زنادقة، ومنهم مُتَعَبِّدون؛ يحسبون أنهم يحسنون صنعا، يضعون أحاديث فيها ترغيب وترهيب، وفي فضائل الأعمال، ليعمل بها، قال بعض هؤلاء

(٤٠) ومن أراد الاستزادة فليراجع ((سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني)).

الجهلة: نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له! وهذا من كمال جهلهم، وقلة عقلهم، وكثرة فجورهم وافترائهم، فإنه عليه السلام لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها إلى غيره". وكفى أن ينادي الحق ويقول: {يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً} [النساء/٢٩]، وأكل المال بالباطل كالتعامل بالربا، والقمار، والرشوة، وأكل مال اليتيم، واغتصاب الحقوق، ولو تتبعنا الآيات القرآنية والأحاديث التي أوردتها السُّنَّة المطهرة من المكذوب والموضوع لوجدنا نوراً يبعدها عن ظلمة الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وهل هناك ترهيب بعد قول الحق لفريق من أكلة أموال الناس بالباطل، وهم أكلة الربا: {يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين}. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله..} [النساء/٣٧٨-٣٧٩]؟ وهل هناك تهديد بعد أن يهدد الإنسان الضعيف بحرب من الله القوي العزيز؟

وكذلك السُّنَّة النبوية المطهرة لها نورها، ويظهر فيما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض)).^(٤١)

(٤١) ((مجلة التوحيد)) (ص ٢٩-٣٣) جمادى الأولى عدد ٥ - ١٤١٢هـ؛ تحت عنوان: "دفاع عن السُّنَّة المطهرة بقلم علي إبراهيم حشيش"

المبحث الرابع: جهالات متنوعة

أولاً: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٤٢): "كما أن القرآن كلام الله الذي بدأه مع آدم، والذي أساس العلم البشري كله".
أقول: من قال للشعراوي أن القرآن بدأه الله مع آدم، وأجهل الناس يعلم أن القرآن بدأه الله مع محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزله عليه.
ثانياً: قال الشعراوي في (ص ٥٤) -عن القرآن-: "مادته ليست من جنس أعلى من مادة البشر".

أقول: القرآن كلام الله، ولا يجوز أن يُطلق عليه اسم المادة؛ لأن المادة تُطلق على الأشياء المخلوقة، ولذلك إطلاق هذه اللفظة على القرآن (المادة قرآن، ومادة القرآن) فهو خطأ فاحش.
ثالثاً: قال الشعراوي في (ص ٥٩): "{قل سيروا في الأرض} ولم يقل على الأرض، عندما تقدم العلم وتفتح وكشف الله أسرار الأرض، وأسرار الكون، عرفنا أن الأرض ليس بمدلولها المادي فقط، أي أنها ليست الماء والأرض، أو الكرة الأرضية وحدها، ولكن الأرض هي بغلافها الجوي، فالغلاف الجوي جزء من الأرض يدور معها، ويلازمها ومكمل للحياة عليها وبدونه تصبح الحياة غير ممكنة على الأرض".

أقول: لم يُرد الله بكلامه هذا الذي ذكره الشعراوي، وإنما هي لغة العرب الفصحى، وهذه الآية مثل قوله تعالى: {ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض.. الآية} يعني: فوق العرش، فوق السموات؛ لأن السماء لا تحيط بالرب سبحانه ولا تحويه، فهو أكبر من كل شيء، كذلك ما حكاه الله عن فرعون أنه قال: {ولأصلبكنم في جذوع النخل} يعني: عليها، وهنا: {سيروا في الأرض} عليها.

رابعاً: ذكر الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٢٣ و ١٠٩): كروية الأرض، وأن ذلك اكتشف عندما تقدم الذهن البشري.

أقول: ليس الأمر كما يقول؛ بل كان السلف يعرفون ذلك، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما، وذكر ابن الجوزي وابن المنادي وابن حزم الإجماع على كروية الأفلاك، وهذا يستلزم منه كروية الأرض، وقد قال: "اعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كروية الشكل، وهي في الماء المحيط بأكثرها".^(٤٢)

(٤٢) ((الفتاوى)) (١٥٠/٥).

خامساً: قال الشعراوي في (ص ١٨٥): "حينئذٍ تقفز البشرية التي هي في أعماقي والتي رأت الله وتعرفه جيداً مصداقاً لقول الله: {ألست بربكم قالوا بلى}.

أقول: من أين للشعراوي أن النفس البشرية رأت الله ذلك الوقت؟ ما هو إلا الخرص والظن!!!
سادساً: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ١٩٣): "ولن تجد أحداً ليسألك ماذا تعني بكلمة الله إننا لا نفهم هذه الكلمة لماذا؟ لأن الله يوجد فينا بالفطرة".

أقول: الله عز وجل يوجد فوق عرشه، فوق سمواته، وهذا التعبير ليس بعجب ممن يقول: الله في كل مكان، وقال قبل ذلك عند قوله تعالى: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم} الآية قال: "هذه الآية الكريمة التي أخبرنا بها تدلنا كيف أن الله يوجد فينا بالفطرة، رغم أنه فوق قدرة العقل".

سابعاً: قال الشعراوي في (ص ٢٤٩): "فإذا مكني الله بأن أعطاني أرضاً فيجب أن أضيف إليها بأن أزرع هذه الأرض لتنتج الثمار، فإذا تركت الأرض بوراً لا أضيف إليها عملاً من عندي وإنما أخذت أسباب الله دون أن أضيف إليها فأنا لا أعمل بشريعة الله في الأرض".
أقول: من أين جئت يا شعراوي بهذا القول وهو أن من لم يزرع الأرض لم يعمل بشريعة الله، أهو وحي؟!!

ثامناً: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٢٧٢): "ورسول الله لا يشرع لنفسه ولكنه يشرع لأُمته".

أقول: الرسول صلى الله عليه وسلم يشرع بإذن الله لنفسه ولأُمته، وهو صلى الله عليه وسلم أول من عمل بشرع ربه عز وجل.

تاسعاً: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٤١١): "فإذا كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى يكون الفعل بلا قيود ولا زمان ولا مكان".

أقول: الشعراوي في مواضع ينفي عن الله الزمان، وقد أخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وهذا زمن، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء))، فالخمسين ألف سنة زمن، كان قبل خلق السموات والأرض.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وكذلك لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن السموات والأرض لم تخلقا من مادة، بل المتواتر عنهم أنهما خلقتا من مادة وفي مدة؛ كما دل عليه القرآن، قال الله تعالى: {أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين}..".^(٤٣)

(٤٣) ((نقض التأسيس)) (١/١٥٢).

عاشراً: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٤٣٦): "ولكنك إذا واجهته يعني الشيطان وأنت ملتحم بالله فلا يستطيع أن يقدر عليك".

أقول: هذا التعبير يناسب زعمه أن الله في كل مكان، بل ترجمة له وإلا فكيف يقول: وأنت ملتحم بالله، ومما يزيد ذلك وضوحاً، وأنه يريد بالالتحام الملاصقة، قوله عن الملك الذي يأتي بالوحي في (ص ٣٧٢): "بل إن الوحي نفسه من طلاقة القدرة وأن يلتحم الملك بإنسان ليتم تبليغ القرآن الكريم".

الحادي عشر: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٤٤٠): "ولكن نفس آدم أساءت الظن بالله".

أقول: استعمال لفظ إساءة الظن بالله على آدم عليه السلام سوء أدب، والذي ذكره الله سبحانه وتعالى عنه؛ أنه عصى ربه وتاب، ولم يذكر أنه أساء الظن به، وإنما وصف الله المنافقين بذلك بقوله: {الظانين بالله ظن السوء}.

الثاني عشر: قال الشعراوي في ((من فيض الرحمن)) (ص ٤٤١) -عن آدم عليه السلام:- "ولكن ظهرت عورته أما كل الخلق".

أقول: من قال للشعراوي هذا إلا رأيته، قال تعالى: {فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة}، ولم يذكر الرب عز وجل أن عورته ظهرت أمام كل الخلق.

وهذا مع أنه قول على الله بلا علم، وعليه وعيد شديد، فهو أيضاً سوء أدب مع نبي الله ورسوله آدم عليه السلام.

الثالث عشر: كتب الشعراوي في ((الأهرام)) قائلاً: "إذا كان المسلم قد التزم بتطبيق دينه تطبيقاً إسلامياً؛ لما أوجد مجالاً لسواه من الأديان أن يفتری عليه، أو يتحرش؛ لأنه حينئذٍ يجد من سلوك المسلمين ما يؤيد دعواه".

هذه القضية التي طرحها الشيخ ذات شقين..

الشَّق الأول: يتمثل في قضية تطبيق الإسلام.

الشَّق الثاني: افتراء الأديان الأخرى على الإسلام والتحريش بالمسلمين.

الشَّق الأول من القضية (تطبيق الإسلام): فلكي يطبق المسلم الإسلام على نفسه، فإنه يلزم لذلك أن تكون هناك أجهزة متفاعلة مع المسلمين، تعمل على شرح الإسلام وتقديمه للمسلمين نقياً خالصاً.. أجهزة الإعلام من إذاعة وتلفزيون ومجلات وصحف، يمكن لها أن تتفاعل بإيجابية مع المسلمين، وأن تعطي التصور الصادق للإسلام، وبالتالي يمكن أن يكون لها دور فعال في تشكيل المجتمع المسلم.. فهل هذه الأجهزة تهتم بقضية الإسلام؟ ومن أين يعرف المسلم الإسلام إذا لم يعرفه من هذه الأجهزة التي تعيش معه في بيته وعلى مكتبه وفي الشارع، أهل يعرفه من الطرق الصوفية -التي يهتم بها إعلامنا- التي تصور أن الإسلام هو ما

يسمونه حلقات الذكر التي يتمايلون فيها ويتصايحون والتي تطلب أن يكون الشيخ مصدر التشريع؟ وهل الإسلام هو ذلك القدر الضئيل المبعوث بحذر بين أجهزة الإعلام والذي يبتعد عن أصالة الإسلام؟ وهل يستفيد المسلم من تقديم (بردة المديح) للبوصيري ومن التواشيح والمدائح التي يرونها برامج إسلامية؟ من الذي يعطيه التصور الصادق للإسلام الذي يطبقه على نفسه؟

وإذا كان الإسلام غائباً في وسائل الإعلام فإنه غائب كذلك في القوانين التي يتعامل بها المسلم.. كيف يطبق المسلم الإسلام على نفسه وهو يرى نفسه مضطراً للأخذ بما يتنافى مع دينه، كذلك فإنه يرى أخلاق الإسلام ضائعة في سلوك هؤلاء الذين هم المثل الأعلى له من القادة والمفكرين.. إن الشيخ بما قاله يطالب الناس ألا يلحوا في مطالبة الحاكم بتطبيق الشريعة الإسلامية.

أما الشق الثاني من القضية فهو افتراء الأديان الأخرى على الإسلام والتحرش بالمسلمين.. الواقع أن أعداء الإسلام حين يرون المسلمين وقد تمسكوا بدينهم، فإنهم يتآمرون ويتكتلون ضد المسلمين؛ لأنهم يرون في تمسك المسلمين بدينهم خطراً يهددهم؛ لأنهم يعلمون أن مصدر قوة المسلمين في التمسك بدينهم.. لكن شيخنا عكس القضية تماماً حيث أكد أن تمسك المسلم بدينه يمنع تحرش الأعداء وافتراءهم عليه.. مع أن الواقع عكس ذلك.. فالمسلمون في مكة كانوا متمسكين بدينهم، وذلك لم يمنع القوى المشركة أن تعلن الحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والدولة الإسلامية في المدينة كانت غاية في التمسك بدين الله، ومع ذلك تأمرت على الدولة الناشئة كل قوى الشر من يهود ومشركين ومنافيين ونصارى.. ويذكر لنا أيضاً أن أعداء الإسلام كان همهم الأول تفتيت قوى الإسلام، فكانت الدعوة إلى (القومية) لضرب الوحدة الإسلامية، وما زال أعداء الإسلام يرصدون أي تحرك إسلامي في العالم الإسلامي لضربه.. وأقرب دليل على ذلك ما حدث في تركيا حين أحست الصليبية والصهيونية بوادر انتفاضة إسلامية، فحركت عملاءها في الجيش التركي وقام الانقلاب، وتم اعتقال زعماء الحركة الإسلامية في تركيا.. فهل وقفت الصليبية في إعجاب منشركة الصدر؛ لأن المسلمين بدءوا يتمسكون بدينهم؟

أما الافتراء على الإسلام وتشويه صورته، فإنه كان الخطة الدائمة لأعداء الإسلام.. قديماً قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر.. وعن القرآن إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون.. لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه.. وفي هذا العصر نجد المبشرين والمستشرقين يقومون بمحاولات متعددة لتشويه صورة الإسلام، ومحاولة تنصير المسلمين، وما زال التاريخ الحديث يذكر لنا كلمة (دزرائيلي) التي قالها في مجلس العموم البريطاني: "إن القضاء على

دولة الإسلام يكون بإبعاد القرآن عن أيدي المسلمين". فهل وقف هؤلاء -بغبطة وسرور- يقرظون مبادئ الإسلام ويدعون إلى احترامه لأن المسلمين يطبقون شريعة دينهم؟^(٤٤)

(٤٤) ((مجلة التوحيد)) (ص ١٨-٢٠) رمضان عدد ٩ - ١٤٠١هـ؛ تحت عنوان: "وقفة مع عالم مشهور!!-بقلم محمد جمعه العدوي"

المبحث الخامس: متفرقات

أولاً: التطور في العلاقات الاجتماعية: قام فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي بزيارة الممثل عماد حمدي في مستشفى القوات الجوية، وقضى معه وقتاً ممتعاً.. ولا بدّ أن الشيخ قد نصح الممثل عماد حمدي بالإقلاع عن شرب الخمر الذي نصحه الأطباء بالبعد عنها. فقال: إنه على استعداد للتضحية بكل شيء إلا الخمر.. ولا بدّ أن الشيخ قد هنأه على أدواره الفنيّة الجديدة. وإن لم يكن هذا ولا ذاك.. فلا بُدّ أن هناك نوعاً من الصداقة يجمع بينهما، وإلا فلماذا يزور عماد حمدي بالذات دون غيره من الممثلين الذين يمرضون كل يوم؟^(٤٥)

ثانياً: بث اليأس في القلوب: قال الشيخ الشعراوي: "إن العصر الذي نعيشه عصر لا يمكن أن تقوم حركته في الحياة بهبات أفراد؛ لأن هبات الأفراد لم تعد تصلح للجميع، جماعة يمكن أن تحمل المجموع على ما تريد، فأمر الحياة أمر تسوسه قوى متعددة لا تملك الجماعات منها شيئاً، وكل من يسبق إلى الحكم يحرس رأيه ومنهجه بما يشاء من قوى لا تملكها أي جماعة، فما لم يتجه الحاكمون أنفسهم إلى أن يعودوا إلى تطبيق دينهم فسيظل الأمر كما هو".

إن شيخنا بهذا يشيع اليأس بين قلوب المسلمين؛ لأن استجابة أي حاكم للنصح أصبحت مستحيلة، والسبب في نظر الشيخ أن "أمر الحياة أمر تسوسه قوى متعددة لا تملك الجماعات منها شيئاً، وكل من يسبق إلى الحكم يحرس رأيه ومنهجه بما يشاء من قوى لا تملكها أي جماعة" ونتيجة لما يقول الشيخ فإن على الجماعة أن تستسلم لإرادة الطغاة.. مع أن شيخنا يعلم أن الرسل والأنبياء واجهوا كيانات بشرية ضخمة متماسكة، ومع ذلك تفتتت هذه القوى.. إمّا مسلمة وجهها لله، وإما مدحورة منهزمة.. إن هذه الدعوة التي أطلقها شيخنا تدعو إلى أن يتوقف المسلمون عن الجهاد في سبيل الله، والذي منه مواجهة الظالم في أي موقع من المواقع مهما كان قدره.^(٤٦)

ثالثاً: إرضاء من بيدهم قرارات التولية والعزل ومرتببات هيئات الرقابة الشرعية: وقف الشعراوي في مجلس الشعب، وأثبت في مضبطة المجلس قسمه بالله عز وجل قائلاً ما نصه: **"والذي نفسي بيده لو كان الأمر بيدي لرفعت الرجل الذي انتشلنا مما كنا فيه -يعني الرئيس أنور السادات- إلى قمة ألا يُسأل عم يفعل"**.

وهنا اعترضه الشيخ عاشور -عضو مجلس الشعب وقتئذٍ- بأنه ليس هناك أحد فوق المساءلة؛ مستنداً إلى قول الله عز جل: {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون}.

(٤٥) ((مجلة التوحيد)) (ص ٤٤) صفر عدد ٢ - ١٤٠١ هـ.

(٤٦) ((مجلة التوحيد)) (ص ٢٠-٢١) رمضان عدد ٩ - ١٤٠١ هـ؛ تحت عنوان: "وقفة مع عالم مشهور!!- بقلم محمد جمعه العدوي"

فأسكته الشيخ الشعراوي -وهو في قمة حماسه وتمجيده لصاحبه الذي لا يُسأل عما يفعل- بقوله للشيخ عاشور مكرراً القول: "أنا أعرف بالله منك، أنا أعرف بالله منك".^(٤٧)

وكانت الثالثة الأثافي حين خرج علينا الشيخ -الوزير وقتئذٍ- بحديث صحفي في (جريدة الأهرام) -استغرق صفحة كاملة-؛ هاجم فيه الذين اعترضوا علي عباراته -المقدسة- في مجلس الشعب، واصفاً إياهم بأنهم جهال؛ لأن (لو) التي سبقت عبارته -القدسية- حرف امتناع، وظن أنه بذلك قد خرج من مأزق رفع الرجل إلى قمة المسألة عما يفعل.

ولكن الشيخ لم يظن إلى أن الذين سماهم (جهالاً) يعرفون أن قوله (لو) كان للتمني، وليس للامتناع فحسب؛ فهو قد أقسم بالله عز وجل أنه لو كان الأمر بيده لرفع الرجل، أي: تمنى مقسماً بالله أن يكون قادراً على مُجازاة ولي نعمته الجزاء الأوفى، ولكن امتنع عليه الجزاء؛ لأنه ليس في مقدوره إصدار صكوك الغفران، ولو ملكها لفعل، والذين سماهم الشيخ الشعراوي جهالاً يقرأون كتاب الله عز وجل قوله: {ودوا لو تدهن فيدهنون}، وقوله: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً}، حيث (لو) للتمني، ولكن حال دون وقوع أمانهم حفظ الله ورعايته للرسول وللمؤمنين.^(٤٨)

وعندما كان الشيخ الشعراوي -وزيراً للأوقاف- ذهب ليخطب الجمعة في الجامع الأزهر؛ فالتمس العذر للدولة في التعامل الربوي، وحرّمه على الأفراد؛ لعلهم يفقهوا أو يفهموا أن السلطان لا يُعارض، ولا يُعترض عليه أحد من المقهورين، الذين لا حول لهم ولا قوة؛ إذ ليس من حقهم الاعتراض على أسيادهم طالما أن أهل العلم والمعرفة بالله في خدمتهم، والفتاوى حاضرة ومعدة، والحيثيات جاهزة، وما أسهل تحريف الكلم عن مواضعه إرضاءً لمن بيدهم قرارات التولية والعزل، ومرتببات هيئات الرقابة الشرعية.^(٤٩)

(٤٧) وليس خافياً أن الشيخ بهذه الجملة المكررة، قد أثبت لنفسه معرفة الحقيقة؛ التي تحجب الحجة الشرعية التي نادى بها الشيخ عاشور في مجلس الشعب، وهذا منهج صوفي واضح!!..هنيئاً للشيخ به.

(٤٨) ((مجلة التوحيد)) (ص ٣٦-٣٧) جمادى الآخرة عدد ٦ - ١٤٠٧هـ: تحت عنوان: "اتق الله يا شيخ شعراوي".

(٤٩) ((المرجع السابق)) (ص ٣٥-٣٦).

الخاتمة

وبعد هذا التجول في هذه المباحث، والتَّعرُّف على بعض الجوانب عند الشعراوي، وخلاصة ما تقدَّم:

- ١- أنه يُطَوِّع تفسير القرآن لشطحات الصوفية.
 - ٢- من أبرز آرائه في العقيدة، أنه يقرّر أن الله في كل مكان، وأن قرب الله قرب من القلب.
 - ٣- يجيز الشعراوي الصلاة في المساجد التي فيها أضرحة، وكذلك يجيز تقبيل المقاصير المقامة حول تلك الأضرحة.
 - ٤- يجيز التوسل بالصالحين.
 - ٥- يفسّر القرآن برأيه.
 - ٦- لا يفرّق بين حديث صحيح ولا غيره، بل نجده يستدل بالأحاديث الموضوعة وما لا أصل لها.
 - ٧- وهناك أيضاً للشعراوي جهالات متنوعة
 - ٨- فتاواه يداهن فيها، ونراه يتزلف إلى الحكام.
- إلى غير ذلك مما وقع فيه -غفر الله له-.
- وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يلهمنا السداد في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.
- وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

المراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تقديم الشيخ حماد الأنصاري- ١٤٠٩هـ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٢. إقامة الحجة والبرهان على من زعم أن الله في كل مكان وفسر برأيه القرآن- رد على محمد متولي الشعراوي تأليف عبدالكريم بن صالح الحميد،
٣. اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية لابن القيم تحقيق د/عواد المعتق-مكتبة الرشد
٤. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير شرح العلامة أحمد محمد شاكر تعليق المحدث ناصر الدين الألباني حققه وتَمَّم حواشيه علي بن حسن الحلبي-دار العاصمة ط ١٤١٥هـ.
٥. تطور تفسير القرآن-قراءة جديدة د/محسن عبدالحميد-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-جامعة بغداد/ بيت بغداد
٦. تفسير القرآن العظيم
٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة للألباني-مكتبة المعارف الرياض-الطبعة الأولى للطبعة الجديدة-١٤١٢هـ-١٩٩٢م
٨. سنن أبي داود-دار الحديث
٩. سنن الترمذي-دار الكتاب العربي
١٠. سنن النسائي
١١. صحيح البخاري-السلفية
١٢. صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي
١٣. عجالة الراغب المتمني في تخریج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السُّنِّي لسليم الهلالي-دار ابن حزم، ط ١-١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
١٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني-دار الوفاء المنصورة، دار الخاني الرياض، حققه وخرَّج أحاديثه د/عبدالرحمن عميرة
١٥. كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات لابن الجوزي حققه نصوصه وعلق عليه د/نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار-ط ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
١٦. كتاب تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لابن الديبع-دار الكتاب العربي بيروت-١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

١٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني-
دار إحياء التراث العربي ط٢-١٣٥٢هـ
١٨. مجلة التوحيد صفر عدد ٢ - ١٤٠١هـ/رمضان عدد ٩-١٤٠١هـ/ جمادى الأولى
عدد ٥-١٤٠٢هـ/جمادى الأولى عدد ٥-١٤٠٧هـ/جمادى الآخرة عدد ٦-١٤٠٧هـ/ذو الحجة عدد
١٢-١٤١٠هـ/ربيع الآخر عدد ٤-١٤١٢هـ/جمادى الأولى عدد ٥-١٤١٢هـ/جمادى الآخرة عدد ٦-
١٤١٢
١٩. مجموع الفتاوى
٢٠. مختصر العلو للألباني-المكتب الإسلامي
٢١. من فيض الرحمن في معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي
٢٢. نقض التأسيس لابن تيمية

فهرس الموضوعات

المقدمة	١
الفصل الأول: بعض تفسير (شطحات) الشعراوي	٣
الفصل الثاني: بعض آرائه في العقيدة	٧
المبحث الأول: زعمه أن الله في كل مكان	٧
المبحث الثاني: زعمه أن قرب الله قرب من القلب	١٠
المبحث الثالث: الشعراوي والقبور	١٢
المبحث الرابع: التوسل بالأولياء والصالحين	١٦
المبحث الخامس: كلامه في السحر	٢٠
المبحث السادس: لا يقدر على الخلق إلا الله	٢١
الفصل الثالث: بعض آراؤه في مسائل متفرقة	٢٢
المبحث الأول: تفسيره القرآن برأيه	٢٢
المبحث الثاني: احتقار السلف	٢٤
المبحث الثالث: الشعراوي والحديث	٢٦
المبحث الرابع: جهالات متنوعة	٣١
المبحث الخامس: متفرقات	٣٦
المراجع	٣٩
فهرس الموضوعات	٤١